المحاضرة ١
الفكر التربوي في عمان
٢٠٢٣

الفكر التربوي
(المفهوم والأهمية مصادره وأبعاده المختلفة)

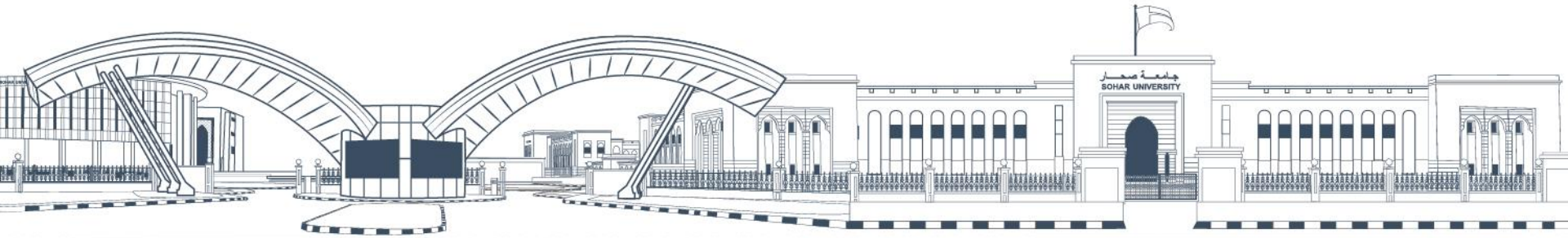

اللقاء التعريفي بالمقرر

- بإذن الله تعالى في **اللقاء الاسبوعي المباشر** والذي يصادف يوم الثلاثاء من كل أسبوع كتوقيت الفصل الدراسي الأول حيث سيتم التعريف بالمقرر من حيث:
- - توصيف المقرر ووحداته التعليمية الأربعة
- - تحديد التمارين الموجهة الاسبوعية والية تسليمها
- - الية تفعيل منتدى الحوار والمناقشة
- - الية واستراتيجيات التقييم والتقويم المتبع من تقارير واختبارات
- - مواعيد الاختبارات القصيرة والمنتصف والنهائية
- **- معايير التقييم بجامعة صحار**
- - النزاهة الأكاديمية
- فصلا دراسيا موفقا إن شاء الله تعالى

المقدمة

يمكن أن نعرّف الفكر على أنّه فعل إنساني مبني على التأمل والاستنتاج والإدراك والقدرة على الاختيار لحل المسائل والمشكلات من خلال القياس والملاحظة.

أمّا الفكر التربوي فيمكن تعريفه بأنه دراسة آراء المفكرين الخاصة بالعملية التعليمية وأهدافها وفلسفتها ووسائلها. البحث في الفكر التربوي قد يتم من خلال المفاهيم والمعاني والأسس النظرية بشكل مجرد عن الواقع التربوي، أو يتم من خلال آراء وتصورات العاملين في مجال التربية والتعليم.

- **معايير البحث فى الفكر التربوي:**

- **المعيار الأكاديمي :**ويقتضى الحصول على درجة علمية متخصصة فى التربية.

- **المعيار المهني :**ويتمثل فيمن يعملون بالحقل التربوي بصفة عامة والتعليمي بصفة خاصة.

- **إتجاهات الفكر التربوى:**

- نظري مستمد من المعتقدات والمحركات الأساسية للفكر.

- عملي تطبيقي مستمد من المعطيات الاجتماعية بكل جوانبها ومكوناتها.

العوامل التي تؤدى إلى الخلط في المفاهيم التربوية:

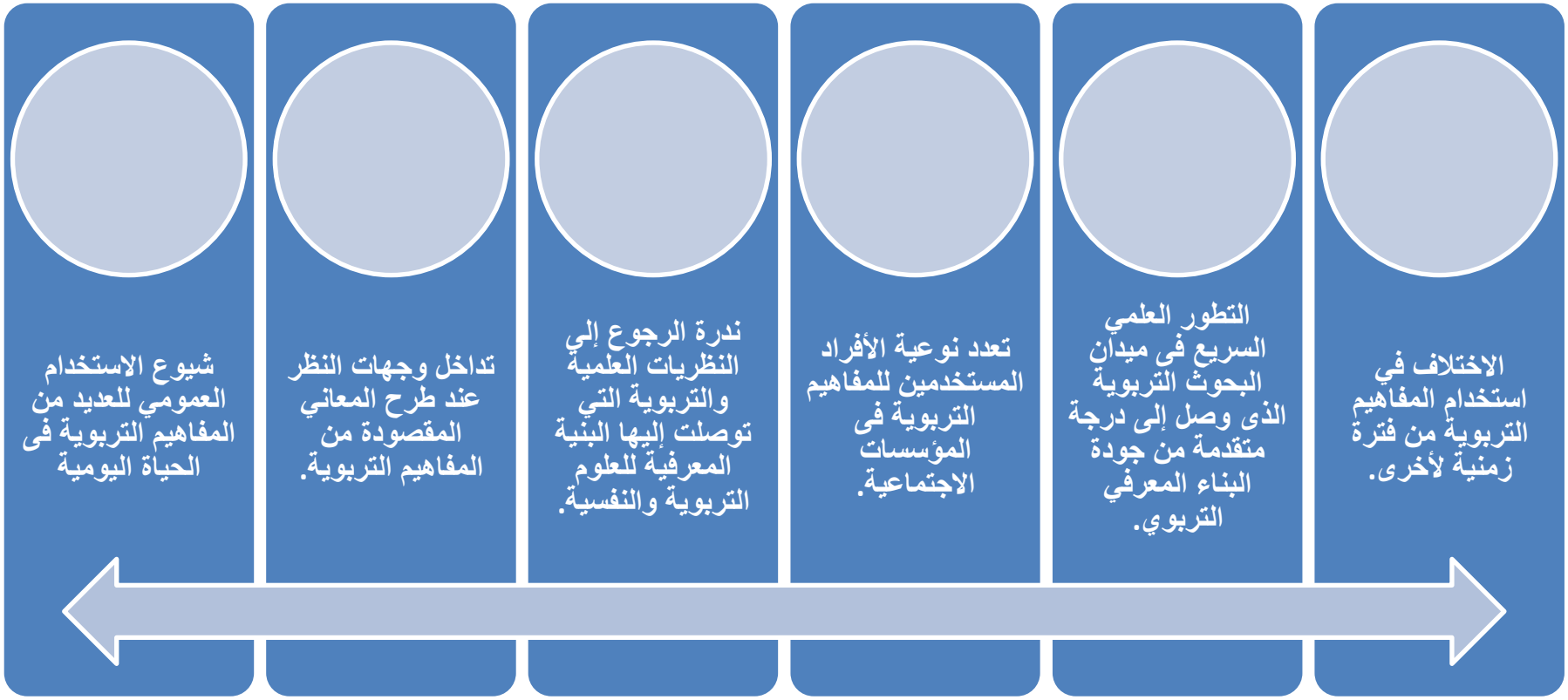

ما هو الفكر ؟

- الفكر نتاج لعقلانية الإنسان، أي إعماله لعقله وتفكيره في ذاته وفي المخلوقات وفي هذا الكون من حوله، فالفكر قرين الوجود الإنساني، فأينما وجد الإنسان في بيئة أو مجتمع معين أعمل عقله وأنتج أفكارًا يتوجه بها في معاشه، ويفسّر بها وجوده ومستقبله.
- فالفكر تعبير عن واقع اجتماعي، لذا يقال الفكر العربي، الفكر الأوروبي، الفكر الإسلامي...
- فالفكر عامة هو: كل تعميم نظري لتجارب البشر الجزئية.
- ويعرف بانه فعل إنساني يقوم على الإدراك والتأمل والاستنتاج والقدرة على الاختيار فى المسائل والمشكلات بعد الملاحظة والقياس أو مجرد التأمل.
- بمعنى آخر هو: مجموع الأسس النظرية والمفاهيم والمعاني التي تكمن خلف مظاهر السلوك الإنساني.

مفهوم الفكر التربوي

كما يعنى بالفكر التربوي هنا مجموعة المسلمات والأفكار التي تؤلف النظرية الواحدة أو النظريات المتقاربة، والتي بدورها تعتبر المرجعية والأساس لواضعي الاستراتيجيات والبرامج العملية في ميدان التّعليم. فهي جهود في الجانب النظري، يتوقع أن تكون ذات تأثير وفاعليّة في الجانب العملي للتعليم

هو ما أبدعته عقول الفلاسفة والمربين عبر التاريخ، فيما يخص مجال التعلم الإنساني، وتنمية الشخصية وشحذ قدراتها، ويتضمن: النظريات والمفاهيم والآراء التي وجهت عملية تربية الإنسان عبر العصور.

ماذا يهمنا من دراسة تاريخ الفكر التربوي ؟

وترتيباً على ذلك فالفكر التربوي :هو ما أبدعته عقول الفلاسفة والمربين عبر التاريخ فيما يخص مجال التعليم الإنساني، ويتضمن : النظريات والمفاهيم والآراء التي وجهت عملية تربية الإنسان عبر العصور.

تكون رؤية وبصيرة بدور الفكر التربوي في تطوير الواقع التربوي والاجتماعي. عن طريق تجديد الفكر المعاصر ليكون مستمدًا من أصالة الإسلام، ومستوعبًا لمتغيرات عصر المعلوماتية.

أن تتكون لدينا رؤية صادقة وموضوعية عن حركة الفكر التربوي في العالم، وعن الدور الذي لعبته أمتنا ضمن هذه الحركة

كيف يمكن دراسة الفكر التربوي ؟

من خلال تعقّب الأنشطة والإجراءات المتبعة في مجال التربية والتعليم، أي تلك العلاقة بين الفكر والواقع، بين النظرية التربوية والتطبيق التربوي... وهي تشمل دراسة:

- دراسة الظروف الدينية و الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة في المجتمع الذي ندرسه.
- تطور المؤسسات التربوية التي تقدم التربية بطريقة مباشرة كالمعاهد والمدارس والجامعات أو غير مباشرة مثل الأسرة ودور العبادة... الخ
- دراسة الفكر التربوي خاصة والفكر الإنساني بوجه عام، وكيف يفكر الإنسان، ونوع العلاقات الإنسانية وما هي نظرته عن نفسه والكون والحياة.

طرق دراسة الفكر التربوى:

الطريقة الطولية :فى هذه الطريقة لا يقتصر الدارس على بلد من البلدان، وإنما يتتبع تطور الفكر التربوى حول قضية معينة عبر العصور المختلفة ومدى مسايرته للتطور الحضارى الإنسانى

الطريقة العرضية :فى هذه الطريقة يتم النظر إلى الفكر التربوى ككل داخل السياق الثقافى الحاكم للمجتمع الذى تتم دراسته، حيث تتقيد هذه الطريقة بتناول حركة الفكر التربوى فى مجتمع معين فى فترة زمنية معينة دون بقية المجتمعات الأخرى أو الخروج بها إلى زمن آخر

لماذا يدرس المعلم تطور الفكر التربوي ؟

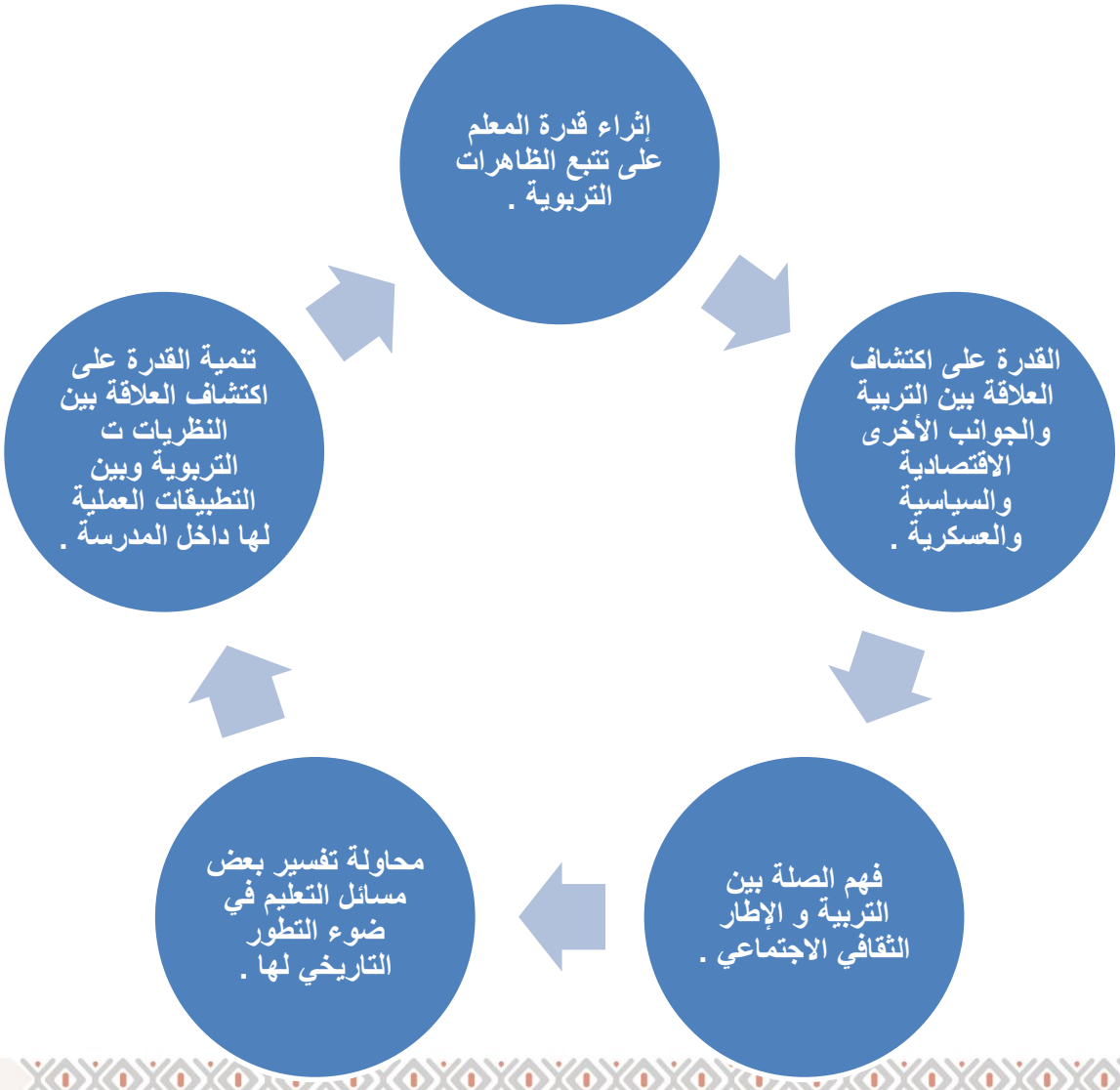

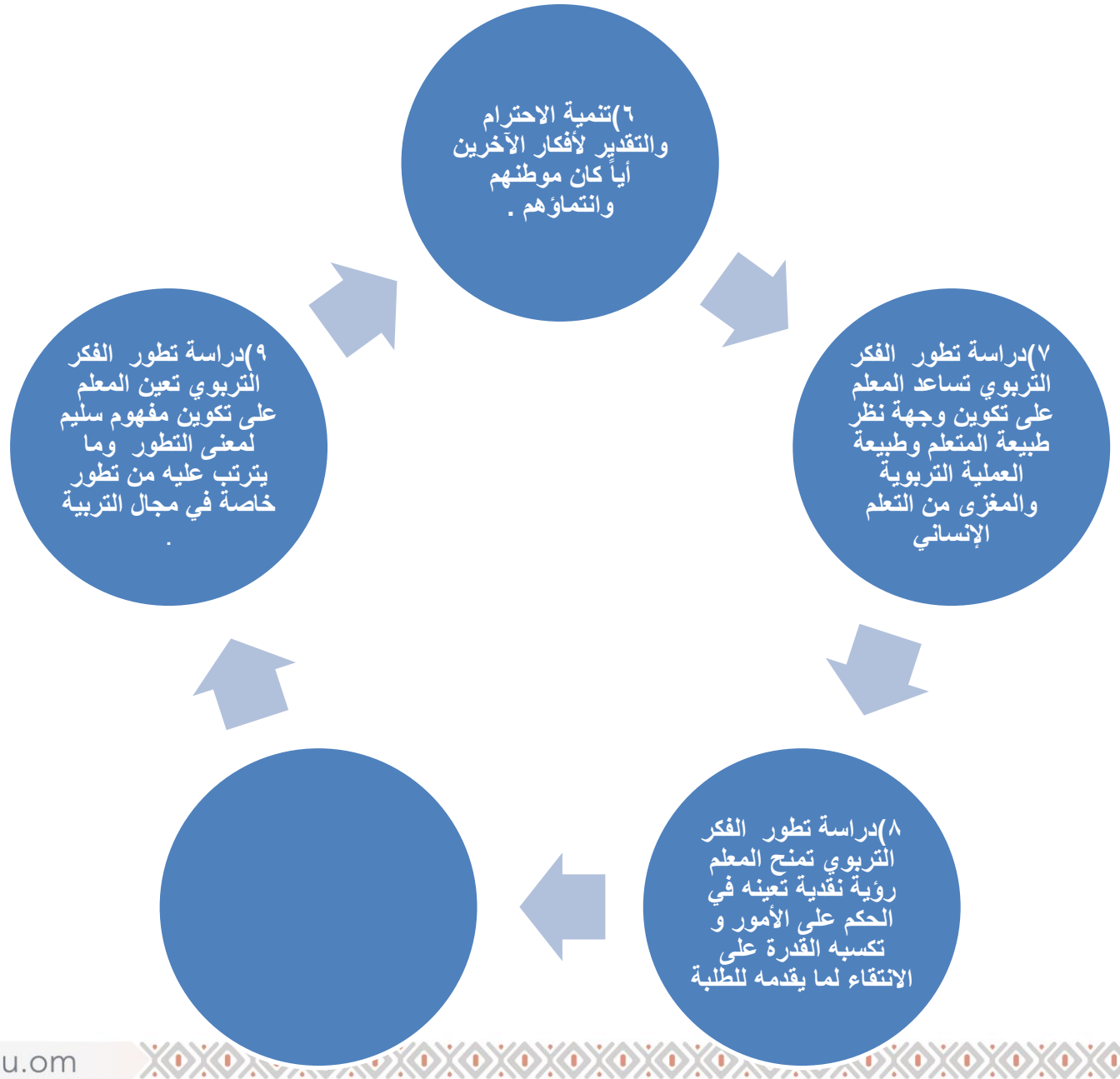
٦)تنمية الاحترام والتقدير لأفكار الآخرين أياً كان موطنهم وانتماؤهم .
٧)دراسة تطور الفكر التربوي تساعد المعلم على تكوين وجهة نظر طبيعة المتعلم وطبيعة العملية التربوية والمغزى من التعلم الإنساني
٨)دراسة تطور الفكر التربوي تمنح المعلم رؤية نقدية تعينه في الحكم على الأمور و تكسبه القدرة على الانتقاء لما يقدمه للطلبة
٩)دراسة تطور الفكر التربوي تعين المعلم على تكوين مفهوم سليم لمعنى التطور وما يترتب عليه من تطور خاصة في مجال التربية .

كيف ندرس الفكر التربوي ؟

السير مع رحلة التربية والفكر التربوي عبر القرون من العصور القديمة وحتى التربية الحديثة .

سوف تكون هناك وقفات عند التطور الحضاري وقد تطول الوقفة أو تقصر تبعا الأهمية المرحلة الحضارية .

وعند هذه الوقفات التاريخية نتخير نموذجاً أو أكثر من مفكري التربية نعرض لحياته وآرائه وأفكاره التربوية ؟

فيكل عصر سوف ندرس الصلة بين الأفكار والآراء التربوية وبين الظروف الاجتماعية والاقتصادية .

في كل عصر سوف ندرس الصلة بين الفكر التربوي السائد وبين نوعية الممارسات والنظم التعليمية التي تأثرت به .

عناصر الفكر التربوي :

١-الفلسفة التربوية الحاكمة والموجهة للعمل التربوي الشامل.

٢- الغايات والاهداف العامة للتربية والتعليم والتدريب والتثقيف والتوعية.

٣-خصائص المتعلم ومطالب نموه.

٤-طبيعة المعرفة والمهارات والاتجاهات القيمية.

٤-أساليب التنشئة والتعليم والتدريب.

٥-معايير التقويم وأساليبه.

مرجع المحاضرة:

طه، حسن جميل (٢٠٠٧). **الفكر التربوي المعاصر وجذوره الفلسفية**، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

شكراً
Thank you

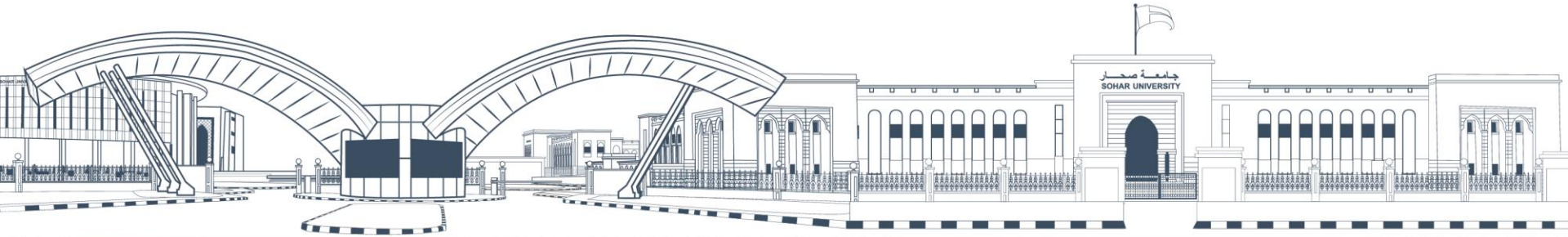

المحاضرة 2

الفكر التربوي في عمان

٢٠٢٣

الفكر التربوي
وبيئته الثقافية والاجتماعية

القوى والعوامل المؤثرة في حركة الفكر التربوي

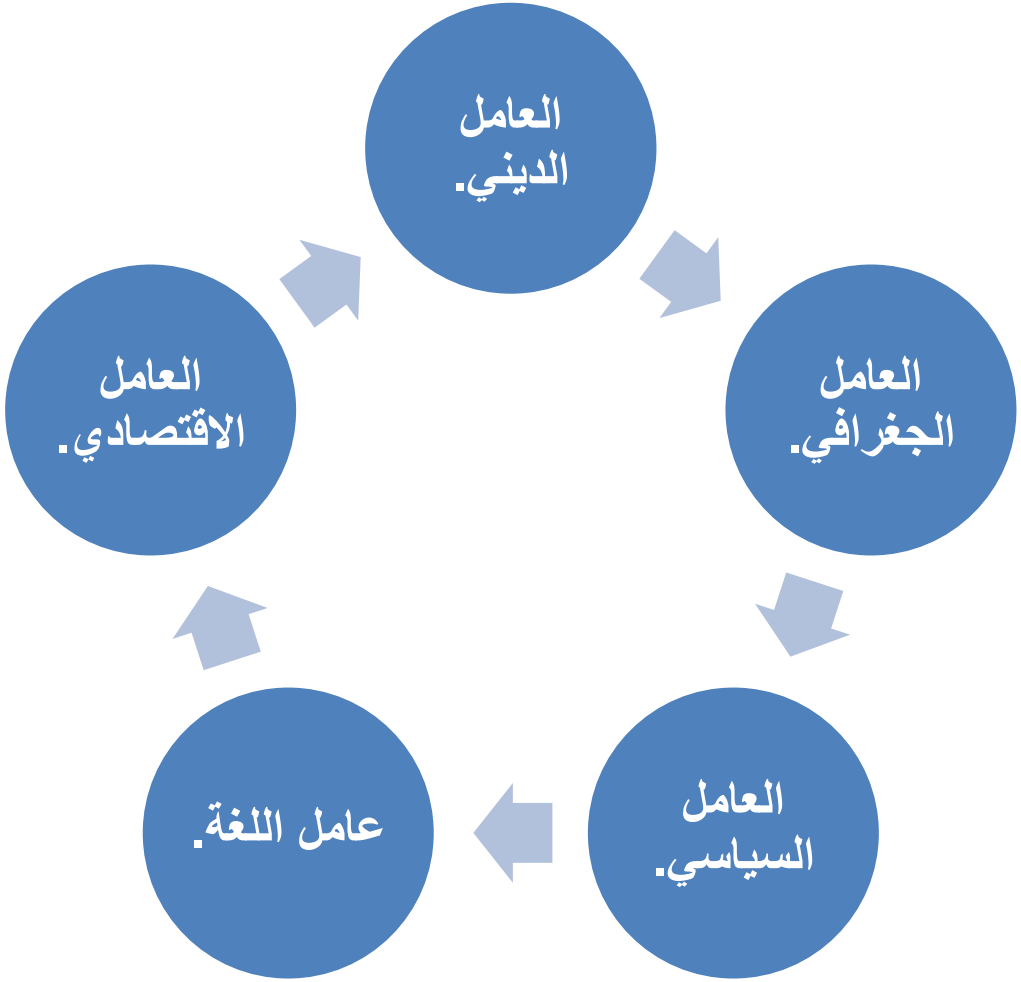

العامل الديني

العامل الجغرافي (المناخ –التضاريس)

العامل السياسي (مفهوم المواطنة – مفهوم تكافؤ الفرص التعليمية –مفهوم الحراك الاجتماعي)

عامل اللغة

(المفاهيم والأهداف التربوية تصاغ بلغة تلقى رواجاً- قوة الأفكار واستمرارها يتوقف على اللغة المكتوبة بها -توجهات الفكر التربوي تعتمد على تأثير اللغة مثل اللغة العربية)

العامل الاقتصادي

تفكر

هل يختلف الفكر التربوي من عصر إلى آخر ومن مكان لآخر ؟

هل هناك عامل يؤثر على الفكر التربوي أكثر من عامل آخر ؟

الفكر التربوي وبيئته الثقافية ـ الاجتماعية

نماذج من العلاقة العضوية بين الثقافة السائدة والنظام التربوي القائم

التربية الفكرية والفلسفية في أثينا: أثر الوضع الاقتصادي والسياسية على تفكير الفرد من حيث الرفاهية كونها مدينة على البحر ولها صلاة تجارية مع الغير أدى الى وجود فرصة للإنسان للتفكير والتأمل في أمور خارج إطار السعي اليومي لمحاولة البقاء.

التربية الفكرية والفلسفية في أسبرطه: اثرت البيئة الداخلية على ظروفها السياسية والاقتصادية كونها مدينة برية افرزت ثقافة قتالية خشنة أصبحت مضرب مثل في الانضباط الى يومنا هذا.

التربية الفكرية والفلسفية في روما القديمة: كان لسيطرتها على العالم القديم من خلال الفتوحات العسكرية والتوسعات العمرانية استلزم الامر الى إصدار التشريعات والقوانيين التي تضبط التوسعات وإرساء قواعد السيطرة الى ارجاء الدولة متأثرة بالفكر الفلسفي الاغريقي (سقراط، افلاطون، وارسطو).

تابع: نماذج من العلاقة العضوية بين الثقافة السائدة والنظام التربوي القائم

التربية الفكرية والفلسفية في روما المسيحية: عندما انتشر الدين المسيحي في الإمبراطورية الرومانية أضحت تحت سيطرة الكنيسة وتعاليمها.

التربية الفكرية والفلسفية في الشرق العربي قبل الاسلام: حيث كانت قبل الإسلام تحكمها الثقافة البدوية مع ما ترافق معها من: قيم النسب، والافتخار، القتال، البلاغة نثرا وشعرا، علوم الفلك.

التربية الفكرية والفلسفية في الشرق العربي عند ظهور الاسلام: أصبحت الصبغة الفكرية هي السائدة: عبادات، قيم أخلاقية وساد الإطار الفكري الإسلامي كمرجع أساسي في جميع المعاملات والسلوكيات.

الفكر التربوي وعناصر الثقافة الاجتماعية

ثقافة أي مجتمع بشري تحتوي على عدد من المقومات او العناصر الأساسية التي تحدد طبيعة هذه الثقافة وطابعها العام ويمكن تقسيمها الى الاتي:

- **عناصر ذات ثبات قيمي وزمني**. كاللغة والدين، التاريخ، وبعض التقاليد.
- **عناصر قابلة للتغير والتحول والتبدل**. كتفكير الناس، أنماط السلوك، تنوع الخبرات.

الفكر التربوي والمعتقدات الدينية

توجد علاقة بين المعتقد الديني والفكر التربوي تختلف درجة هذه العلاقة وفقا للاتجاهات التالية:

- **الاتجاه الأول:** اتجاه التربية الدينية الكهنوتية .
- **الاتجاه الثاني:** الاتجاه الديني الروحي حيث يؤمن الانسان ان هناك قوى ما ورائية خلف الظاهر الاجتماعية.
- **الاتجاه الثالث:** الاتجاه العلماني والذي يدعو الى الانشغال بالأمور الدنيوية.

الفكر التربوي والنظام الاجتماعي

كل نظام اجتماعي ينقسم الى الأنظمة الفرعية التالية:

- النظام السياسي.
- النظام الديني.
- النظام الاقتصادي.
- النظام التربوي.

ما دور الفكر التربوي تجاه الأنظمة المكونة للنظام الاجتماعي؟

الاتجاه الأول: على النظام التربوي المحافظة على الوضع الاجتماعي القائم والثقافة المحيطة به **والسبب وراء هذا الاتجاه هو** ان هذا التراث عزيز ويجب المحافظة علية نتيجة لأنه موروث من الاجيال وانه جاء نتيجة تضحيات السابقين.

الاتجاه الاخر: يدعو الفكر التربوي الى ان يقوم بمبادرات لإحداث التطوير والتحديث في سلوك الناس من خلال وسائل التربية والتعليم.

متى يكون النظام التربوي قادر التطوير والتحديث:

الايمان بان عملية التغير أمر ليس بالسهولة التي يتصورها البعض.

هل يضمن النظام التربوي عدم تعرضه للهزات الاجتماعية او الصرعات الطبقية.

الايمان بان تحسين النظام الاجتماعي عملية تحتاج الى مزيد من الإمكانات المادية والإمكانات البشرية.

ان يدرك أصحاب الطموح الكبير ان النظام التربوي لا يملك عصى سحرية لإحداث التغيير في النظام الاجتماعي.

عملية التغيير والتطوير من خلال النظام التربوي تحتاج الى الكثير من التأني والتفكر والتدبر مما يضفي على الفكر التربوي مسئولية خطيرة في تحديث النظام الاجتماعي والمتمثل في تربية الأجيال.

مرجع المحاضرة:

طه، حسن جميل (٢٠٠٧). **الفكر التربوي المعاصر وجذوره الفلسفية**، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

المحاضرة 3
الفكر التربوي في عمان
٢٠٢٣

الفكر التربوي الاسلامي

المقدمة

إن الفكر التربوي الاسلامي خصب، وذلك لان اصوله مستمدة من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة ، مصدر التشريع الاسلامي

ويشمل الفكر التربوي معلومات عن طبيعة الكون بإعتباره الدائرة الأوسع لحياة البشر بالاضافة لبحثه في الأحداث الماضية التربوية المرتبطة بالانسان بشكل مباشر، لذا نجد أن تطور الفكر الانساني الموجه نحو التربية على مر التاريخ الانساني قديما وحديثا.

الفكر التربوي الاسلامي

هو كل اجتهاد عقلي ونتاج ذهني جادت به عقول مفكري الإسلام

مهتدين بمصدري التشريع القران والسنة لكي يستخرجوا لنا تراثا وإرثا تربويا صالحا للتطبيق والممارسة

أولا: ملامح الفكر التربوي في العصر الجاهلي

لقد عبد العرب الاصنام في جاهليتهم وكان يتقربون لها بالنذور والقربان لدرجة تعطيلهم لعقولهم عن حقيقة هذه الاحجار التي لا تضر ولا تنفع وجعلوها وسيطا بينهم وبين الله عز وجل

- تميز العرب بالعصبية القبلية وكانت تقوم الحرروب بينهم على أقل الاسباب كحرب البسوس وحرب داحس والغبراء
- كان لهم نتاج فكري كالشعر وعلم الانساب وعلم الفلك وبعض العلوم المرتبطة بالطبيعة الصحراوية فقد كانوا على هامش الأمم آنذاك

قال تعالى على لسان المشركين:

(مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)

سورة الزمر آية ٣

التربية قائمة لديهم على المحاكاة للآباء في الأقوال والأفعال والعادات والتقاليد

والمؤسسة الأولى لتربية الابناء هي الأسرة فكانوا يقلدون ابائهم في اخلاق العرب ويفتخرون بالقبيلة والنسب

نبغ العرب في العصر الجاهلي في بعض العلوم التي اقتبسوها من الحضارات الاخرى، كما نبغوا في الشعر وكانت لديهم منتديات أدبية كسوق عكاظ وسوق مجنة وذو المجاز، كما برعوا في علم الانساب والكهانة وعلم اقتفاء الآثار والفروسية والنجوم.

ثانيا: البناء الفكري الإسلامي

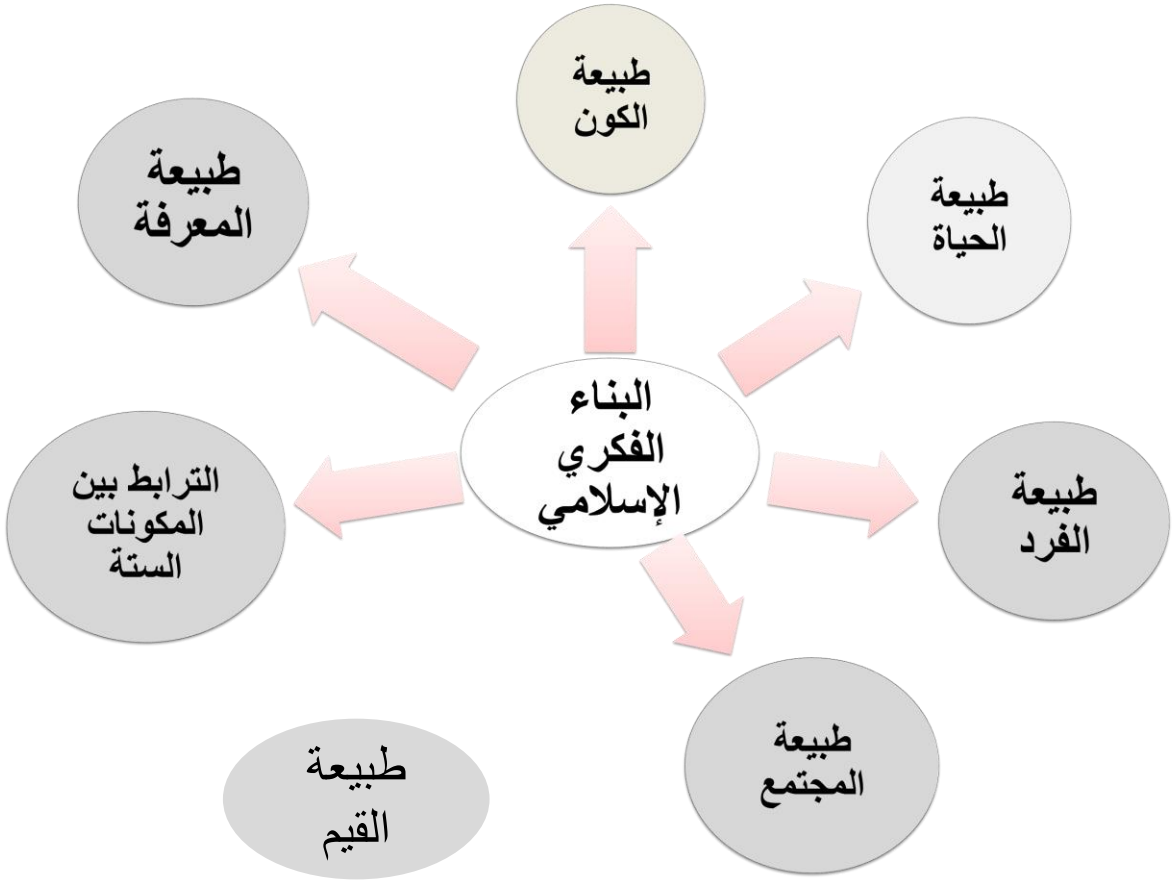
البناء الفكري الإسلامي
طبيعة الكون
طبيعة الحياة
طبيعة الفرد
طبيعة المجتمع
طبيعة القيم
الترابط بين المكونات الستة
طبيعة المعرفة

إن البناء الفكري الإسلامي يدور في اطار سبعة مكونات هي:

المكون الأول : طبيعة الكون خلقه وسبب تكونه والطرق المثلى للاستفادة من خيراته لخدمة الانسان وفق ضوابط تربوية تحفظه من الاستنزاف والتلف

المكون الثاني : طبيعة الحياة ونشأتها وما ستؤول إليه وما يترتب على ذلك من علاقات متبادلة ومعتقدات وممارسات ودور التربية للحفاظ على هذه الحياة من خلال المثل

والأخلاق والسلوكيات التي تسعى لغرسها عند الأفراد لحفظ هذه الحياة مستقرة

المكون الثالث : هو طبيعة الفرد من حيث خلقه ونشأته وتكوينه وما يحتاج إليه ليستمر ويعمر الكون ودور التربية في ضبط سلوكه والتحكم في غرائزه لتوجيهها الوجهة الصحيحة التي تحفظ صحته وقدراته.

المكون الرابع : فهو طبيعة المجتمع وكيفية تكون المجتمعات وطرق المحافظة على استمراريتها والاستفادة من مقدراتها وما تحتاجه من أجهزة ومؤسسات ووسائل خدمية لتأتي التربية هنا لتعمل على تحقيق كل ذلك من خلال وضع الضوابط والقوانين والأنظمة وتربية أفراد المجتمع عليها

المكون الخامس : هو طبيعة القيم فمنظومة القيم والمعايير التي تحكمها هي التي تضبط السلوك حسب مستوى ايمان أفراد المجتمع بها ودور التربية هنا يتلخص في تحويل هذه القيم إلى منهج حياة لأفراد المجتمع،

المكون السادس :يعالج طبيعة المعرفة من حيث المصدر والأهمية والجدوى والتأثير فتسعى التربية لتنظيم كل ذلك وفلترة المحتوى المعرفي ليصبح هادفا نافعا

المكون السابع : ليحدد مدى الترابط بين المكونات الستة السابقة من خلال فلسفة تربوية تسعى لتحقيق طموحات الإنسان وتلبية احتياجاته وفق ضوابط يرتضيها المجتمع ويعمل على الالتزام بها.

نشاط

هل تعتقد أن دراستك لمقرر الفكر التربوي سيثري خبرتك العملية ؟

ثالثا: ملامح الفكر التربوي في صدر الإسلام

دعا الاسلام إلى طلب العلم ومعرفة تاريخ الأمم قال تعالى: (قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) النمل ٦٩

كما شجع في البحث عن المعرفة قال تعالى:(اقرأ باسم ربك الذي خلق) العلق ١

حيث ورد بالقران الكريم كلمتا العلم والمعرفة ٨٥٤ مرة مما يدل على أهمية العلم في الفكر الاسلامي

- وفى عهد النى محمد صلى الله عليه وسلم:

١- برزت ملامح الفكر التربوي في ظهور أولى المؤسسات التعليمية

فكانت دار الأرقم ابن أبى الأرقم هو المكان الذي يجتمع فيه المسلمون للتعلم والدراسة من الرسول والصحابة الكرام

- **في عهد الخلفاء الراشدين:**

- لقد كان لانقطاع الوحي وتوسع حدود الدولة الاسلامية نتيجة الفتوحات وتفاعل المسلمين مع الحضارات المجاورة كالفرس والروم أن اصبحت ثقافة هذه الشعوب في متناول المسلمين
- وفي المقابل ظل المسجد هو مركز التعليم والتعلم كما كان في عهد رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى تسليم

٢- وفي المدينة المنورة أصبح المسجد هو المكان المناسب لنشر العلم والمعرفة

ومن المسجد أنطلقت مؤسسة تعليمية جديدة اخرى هي الكتاتيب والتي هي عبارة عن مجموعة من التلاميذ وطلبة العلم تتحلق حول المعلم

رابعا: ملامح الفكر التربوي في العصر الأموي

كان لأمتداد الدولة الاسلامية واحتكاكها بالحضارات الاخرى الاثر في نقل الفكر الادارى

كظهور المؤسسات الادارية مثل :

نظام الوزارات والحاجب وظهور العديد من الحركات الادبية

اضافة الى الاهتمام بالعلوم اللغوية والتراث والأدب

وبرزت مراكز العلم في بعض المدن مثل: مكة المكرمة والمدينة المنورة والكوفة والبصرة ودمشق

خامسا: ملامح الفكر التربوي في العصر العباسي

وصل الفكر التربوي في العصر العباسي خاصة في علوم القران والحديث والشريعة والطب والكيمياء واللغويات والحساب قوته، وكان يطلق على الفترة الأولى منه بالعصر الذهبي لبروز المفكرين والمؤلفات المختلفة في كافة العلوم ويرجع ذلك إلى:

١-التشجيع على البحث العلمي والادبي بتقديم المكافآت للعلماء والمفكرين

٢-نشوء حركة الترجمة للكتب الاغريقية

٣-الاستقرار الاقتصادي والوفرة المالية والسعي لطلب العلم

سادسا: مصادر الفكر التربوي الاسلامي

١- القران الكريم:

العناية بالتربية الاجتماعية	العناية بالتربية العملية	العناية بالتربية الجسمية	العناية بالتربية الخلقية	التأكيد على التعليم والتعلم	العناية بالتربية العقلية

٢- السنة النبوية

٣- اجتهادات المربين المسلمين

القرآن الكريم

- ـ قال تعالى:{ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون }
- ـ قال صلى الله عليه وسلم:{ تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي }

- القرآن هو: كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف بداية بسورة الفاتحة ومنتهيا بسورة الناس
- وقد تم حفظه في صدور الرجال وبالكتابة وسيبقى محفوظا إلى قيام الساعة

السنة النبوية

- الحديث: هو كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية.
- ـ قال تعالى:{ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا }
- ـ قال صلى الله عليه وسلم:(فمن رغب عن سنتي فليس مني)

- وقد حوت كثير من آيات القرآن المجيد على وجوب الاعتماد على ما يصدر من الرسول صلى الله عليه وسلم، في شئون الاعتقاد والمعاملات، والتي لابد أن تكون أهداف التربية من مجالاتها الأساسية
- يقول عز من قال: (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً) [النساء:٨٠]

سابعا: اسس الفكر التربوي الاسلامي

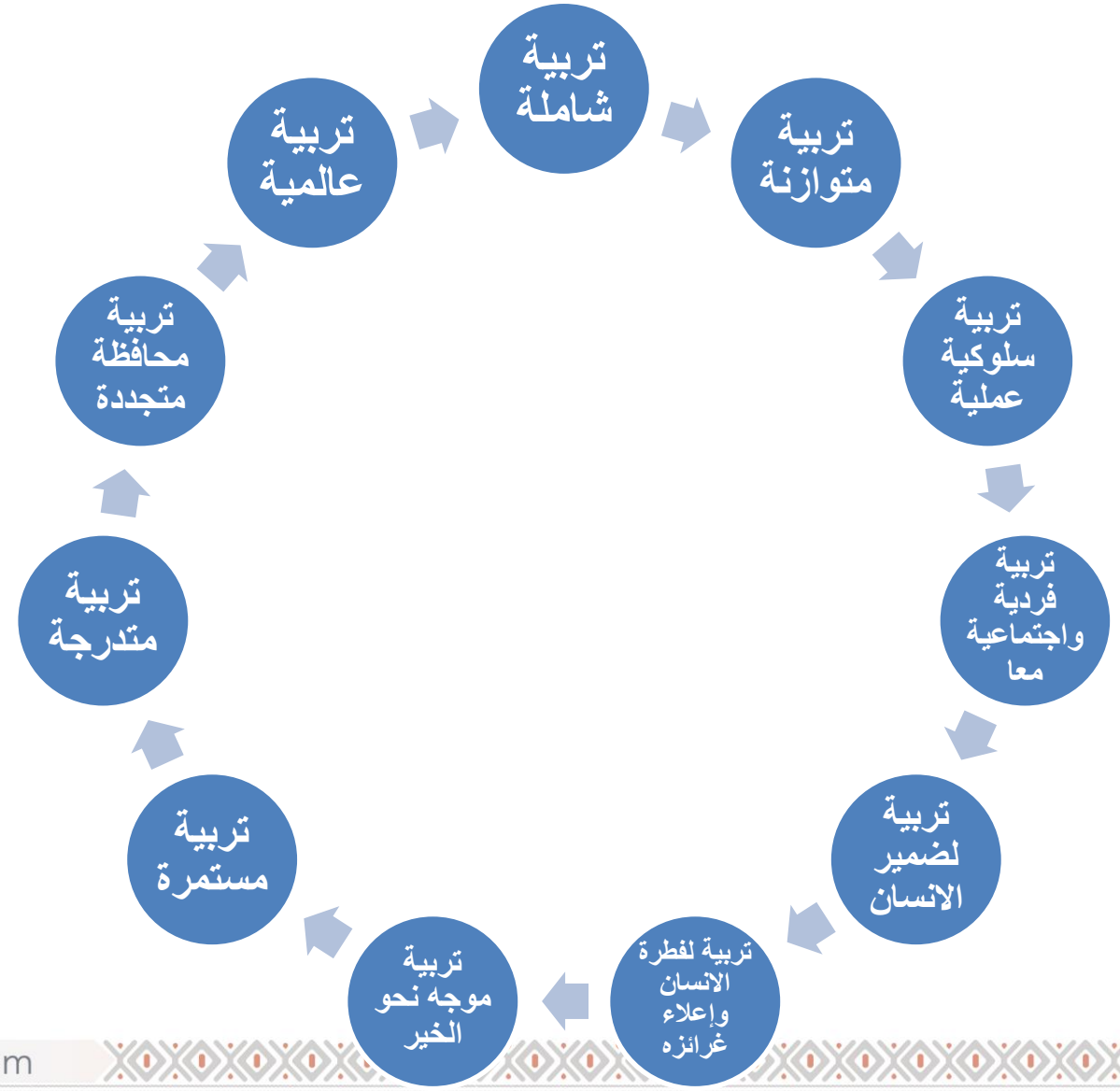

مرجع المحاضرة:

طه، حسن جميل (٢٠٠٧). **الفكر التربوي المعاصر وجذوره الفلسفية**، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

الفكر الإنساني ابن بيئته الاجتماعية، ووليد المحيط الثقافي الذي ينشأ فيه المفكر صائغ الأفكار وطارحها. وانطلاقاً من طبيعة الإنسان الاجتماعية، وأن الفرد لا يعيش منعزلاً عن جماعة ما، فإن تأثيراً متبادلاً لابد أن يحدث بين معطيات ومكونات

شخصيته الفردية ومعطيات وعناصر ثقافة الجماعة التي يعيش فيها وينتمي إليها. والعلاقة العضوية بين الثقافة السائدة لأي مجتمع وفي أي زمن من الأزمان، وطبيعة النظام التربوي القائم واتجاهات الفكر التربوي السائدة فيه والغالبة عليه، باتت معروفة ومفهومه وفي غير حاجة إلى مزيد من البيان.

(1)

وترى شواهد هذه العلاقة العضوية بين التربية وتنظيراتها الفلسفية والفكر التربوي الناتج عنها من جهة والبيئات الثقافية التي تشكل نسيج العلاقات وطبيعة المؤسسات الاجتماعية المختلفة من جهة أخرى نجد شواهد هذه العلاقة في الفكر الغربي بدءاً من أنماط التربية الأثينية والإسبرطية والرومانية قبل الميلاد التي عبرت عن القوالب الثقافية - الاجتماعية المختلفة التي كانت تسود تلك المجتمعات القديمة: فالتربية الفكرية - الفلسفية في أثينا ما قبل افلاطون وما بعده عبرت بصورة جلية عن الأوضاع السياسية والاقتصادية لدولة - مدينة تجارية ذات ميناء مفتوح على بحار العالم وأخباره وتجاربه وأفكاره، إلى جانب الرفاهية الاقتصادية التي تتيح للإنسان الفرصة للتفكير والتأمل العقلي في أمور خارج إطار السعي اليومي الحثيث المحاولة البقاء على قيد الحياة وتحصيل القوت وتلبية الحاجات الجسدية. وعكست التربية الإسبرطية الظروف السياسية الحربية التي وجدت نفسها في خضمها كونها دولة - مدينة برية داخلية نافست الينا وغيرها من دويلات المدن الإغريقية. ولذلك أفرزت ظروفها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ثقافة خشنة منقشفة قتالية

انضباطية يضرب بها المثل إلى يومنا هذا. أما روما القديمة العظيمة فقد شهدت أيام عزها وسيطرتها على العالم القديم نوعاً من التربية أفرزته ظروف فتوحاتها العسكرية وما استلزمته من بنى تحتية وطرق وجسور وقلاع وما احتاجت إليه من تشريعات وقوانين لضبط التوسع وتنظيمه وإرساء قواعده سواء في روما أو في البلاد المقهورة التي دخلت تحت عباءة ما سمّي آنذاك السلم الروماني" أو حكم روما. وما يلفت النظر في هذه التربية الرومانية القديمة قبل مرحلة التنصر أو اعتناق الدين المسيحي، أن روما الدولة وروما المجتمع كانا إلى حد كبير متأثرين بالفكر الفلسفي الإغريقي الذي كان يمثله تراث سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم من اعلام الإغريق الذين خضعوا بعد ضعفهم إلى الحكم الروماني القادم من الشمال حتى قيل أن أثينا (الفكر والفلسفة أسرت آسرها أو قاهرها روما (القوة المادية)!!! وتعبيراً

عن قوة الثقافة تأثرت مدارس روما وفلاسفتها ومفكروها ومشرعو القوانين فيها بالفكر الإغريقي وخاصة تراث أثينا العظيم.

رعاية

-35

وعندما أصبحت الإمبراطورية الرومانية ومعظم أقاليمها الأوروبية والأسيوية والإغريقية مسيحية نحو منتصف القرن الرابع الميلادي، وبدأت سيطرة الكنيسة على كافة جوانب الحياة الأوروبية تأثرت أنماط التربية على الفور بالفكر الديني الجديد الذي طرحه فلاسفة الكنيسة الدينيون من أمثال القديس أوغسطين والقديس أنسلم - وفيما بعد – القديس توما الأكويني وغيره. انتقلت التربية بسرعة مذهلة . من العقل وتنمية الفكر الحر إلى القولبة الدينية المتزمتة حسب الرؤية التي طرحتها الكنيسة المسيحية التي كان مفادها تطهير النفس وخلاص الروح تمهيداً لإقامة مملكة الله. كان السائد آنذاك في أوروبا - منذ اعتبار أي تراث فكري سابق على المسيحية فكراً وثنياً ثقافة دينية تغلغلت إلى أدق تفاصيل حياة الفرد المسيحي إلى الحد الذي جعل أحد فلاسفة التربية في القرن السابع عشر، وهو جون لوك الإنجليزي، يعتقد بان نموذج المواطن الأوروبي الذي يجب أن ينتج عن التربية هو "المسيحي المهذب". وبالطبع استمر تأثير الثقافة المسيحية - حسب الطروحات الكنسية - ما يقرب من ألف عام ما بين القرنين الخامس والخامس عشر سميت ربما عن حق

(2)

-36

العصور المظلمة أو الوسطى كونها توسطت ما بين عصر النهضة الفكرية الفلسفية للإغريق، والنهضة الأوروبية العلمية والأدبية الحديثة.

وفي الشرق العربي، عكست التربية العربية قبل الإسلام ظروف الثقافة البدوية القبلية وما ترافق معها من قيم النسب والافتخار وخبرات الفراسة والقيافة وفنون القتال، وأعراف وتقاليد القبائل العربية، ومعارف الصحراء والماء، والظعن والأنعام، والبلاغة نثراً وشعراً، وأهمية الدلالات والمضامين اللغوية، وعلوم الفلك ومراقبة النجوم والتأمل والحكمة ... وغير ذلك.

وعندما ظهر الإسلام، اصطبغت التربية العربية مباشرة بالصبغة الفكرية الدينية للدين الجديد، وأصبح الإسلام وما طرحه من إيمانيات وعبادات ومعاملات وقيم أخلاقية وعلاقات اجتماعية، الإطار الفكري المرجعي الرئيسي للثقافة العربية وبالتالي لأنماط التربية في المجتمعات الإسلامية. فمن تراث عرب الجاهلية الفكري اللفظي غالباً، انتقلت أنماط التعليم إلى علوم اللغة والدين الإسلامي ومحاولات التعامل مع العلوم والفنون للحضارات المجاورة

لجزيرة العرب. وفي هذا الجمع بين العلوم الدينية (النقلية) والتراث الفكري الفلسفي الإغريقي (العلوم العقلية) من جهة، واستنباطات الحضارة العربية الإسلامية التي فرضتها ظروف توسع الدولة الإسلامية واحتكاكها بغيرها من الحضارات عكست أنماط وأشكال وأنواع وصيغ وبرامج ومناهج وطرق التربية والتعليم في العالم العربي خصائص الثقافة العالمية التي تجمعت في الدولة الإسلامية ردحاً طويلاً من الزمن.

وكانت العلاقة بين التربية والبيئات الثقافية الجديدة في الغرب بعد انحسار سيطرة الكنيسة وبزوغ فجر النهضة العلمية والأدبية في القرن الخامس عشر، واضحة المعالم في تحوّل صيغ التربية وأنماط التعليم وأهدافه إلى تطوير الشخصية الفردية في إطار التقدم العلمي والقيم الإنسانية الجديدة التي سادت المجتمعات الأوروبية في العصور التالية. كذلك أخذت التربية الغربية الطابع الثقافي الجديد الذي طرحته الثورة الصناعية وما تلاها من تغيرات ديمقراطية، وأصبح الغالب على التربية في المجتمعات الأوروبية وأميركا التعليم التقني وتطبيقات التقدم حسب النزعات الفردية

- 37.

البراغماتية دون إهمال أهمية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية في بناء الشخصية الفردية وتكاملها وتعاملها مع الإطار الاجتماعي في البيئة من حولها.

كما أن الفكر التربوي في الأندلس لم يكن منعزلاً عن واقع حياة المجتمع العربي هناك وثقافته بحيث اعتبر المفكرون الأندلسيون التربية عملية ثقافية، والثقافة ذات طبيعة تربوية ونظروا إلى الثقافة المحيطة باعتبارها ذات عناصر مربية

(3).

إن العلاقة العضوية التي قامت عبر التاريخ وفي كافة المجتمعات الإنسانية بين عمليتي التربية (بناء الشخصية وتطويرها والتثقيف نشر الوعي وتعميقه) لم تكن بمعزل عن ظاهرة المسيرة التاريخية الحضارية لتلك المجتمعات. ولعل هذه العلاقة العضوية هي التي كونت - بالإضافة إلى الإضاءات الفكرية الفلسفية لكبار فلاسفة التربية - مقومات وسمات الفكر التربوي الذي عكس العناصر الرئيسية للثقافات الاجتماعية السائدة.

الفكر التربوي وعناصر الثقافة الاجتماعية

تشتمل ثقافة أي مجتمع إنساني على عدد من المقومات أو العناصر الأساسية التي تحدد طبيعة هذه الثقافة وطابعها العام والثقافة الاجتماعية تحتوي على ثوابت عناصر ذات ثبات قيمي وزمني ومتغيرات عناصر قابلة للتغير والتحول والتبدل)

حسب الظروف المستجدة التي تطرأ على حياة المجتمعات في مسيرتها الحضارية. فمن ثوابت الثقافة المعتقدات الدينية واللغة القومية، والتاريخ، والقيم الأخلاقية العليا، وبعض

التقاليد الاجتماعية الراسخة التي لا يمكن للمجتمع التخلي عنها. أما متغيرات الثقافة فتشمل أساليب تفكير الناس وأنماط سلوكهم، وخبراتهم المختلفة التي تخضع للتغير وتتطور بتأثيرات التحديث والتقدم العلمي وتطبيقاته التكنولوجية، وانعكاسات الأحداث السياسية والتحولات الاقتصادية والأنماط

الجديدة للعلاقات الاجتماعية والظواهر الثقافية التي ترافقها أو تأتي في ركابها. كما تخضع عناصر الثقافة جميعها - بدرجات متفاوتة بين الثوابت والمتغيرات - للتغير في أثناء وبعد الحروب والصراعات المحلية والإقليمية والعالمية، والكوارث

38

الطبيعية والأزمات البيئية، والأوبئة والتحديات الأخرى الكثيرة التي تواجه

المجتمعات وتمس كافة أفرادها.

ونظراً للعلاقة العضوية القائمة بين التربية وبيئاتها الثقافية في السياق الاجتماعي، فإن أنماط وأنواع التربية ومحتواها وطرقها ونظمها وأهدافها تكون خاضعة للثبات والتغيير حسب درجات هذا الثبات أو التغيير في عناصر الثقافات الاجتماعية التي تعمل النظم التربوية في إطارها. ولقد أصبح من المعلوم الآن أن الإنسان ليس فقط كياناً بيولوجياً خالصاً وإنما هو نتاج بيولوجي – اجتماعي - ثقافي لا تتضح أهمية وجوده إلا من خلال النسيج الاجتماعي ذي المضمون الثقافي، وهو خلال تربيته وتثقيفه يمكنه القيام بأدواره كإنسان نافع لنفسه ولغيره من بني البشر. وكما قيل دائماً، تنقل الثقافة والتربية الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي او مدني يعيش حياة الجماعة.

من

(4)

الفكر التربوي والمعتقدات الدينية

عندما يكون المعتقد الديني العنصر الأكثر أهمية في ثقافة ما، فإن الفكر التربوي في مجتمعات هذه الثقافة يميل إلى الاصطباغ بالصبغة الدينية والنظام الأخلاقيا للمعتقد الديني السائد. وهناك علاقة عضوية قوية الارتباط بين التربية والفكر الديني كانت مائلة في تاريخ المجتمعات البشرية منذ المجتمعات الأولى حتى المجتمعات المعاصرة مع الاختلاف في درجة وشدة هذا الارتباط بين ثقافة وأخرى

وفترة زمنية وأخرى.

(5)

ويقوم الفكر الديني على الإيمان بالرسالات السماوية التي أوحى بها الخالق إلى أنبيائه ورسله لنشرها بين الناس، وعلى الالتزام بالنهج الإيماني ونظامه الأخلاقي في كافة مجالات الحياة. وعندما يكون الفكر التربوي في المجتمع منطلقاً من ومستندا إلى - الفكر الديني السائد في ثقافة المجتمع، فإن التربية بفلسفتها وتنظيراتها ومبادئها وأهدافها وغاياتها ومحتواها وكافة ممارساتها عادة ما تكون

عاكسة لذلك الفكر الديني.

39

وعلينا أن ندرك منذ البداية أن التربية الدينية والأخلاقية التي يطرحها الفكر الديني تمثل الميدان التطبيقي لمبادئ وأساسيات هذا الفكر وكما هي الحال بالنسبة لكل فكر، سواء كان سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً، فإن الفكر الديني يخضع لرؤى ونظريات وتفسيرات بشرية تحدد طبيعته ومساره واتجاهاته كما تحدد طبيعة التربية التي ينادي بها ومسارها واتجاهاتها. ولذلك فإن فهم الدين ودوره في حياة البشر بطريقة معينة أو بطريقة أخرى سوف ينتج عنه فكر تربوي محدد بكافة عناصره الحاكمة والموجهة للعملية التربوية بشموليتها! وتختلف الآراء حول طبيعة الدين ودوره في الحياة، وحول طبيعة الأخلاق والسلوكيات التي ينادي بها. وعلى هذا فالفكر التربوي يختلف حسب تلك الآراء والنظرات ويترتب عليه اختلاف في طبيعة عملية التربية وعناصرها وأهدافها وتنظر بعض الثقافات إلى المعتقد الديني على أنه مصدر إلهي لقانون أخلاقي عام ينبغي أن يلتزم به كافة بني البشر، بينما ترى ثقافات أخرى أن المعتقد الديني مسالة مرتبطة بالحرية الشخصية والاختيار دون إلزام أفراد المجتمع الآخرين المشاركين لهم في الوطن بعقيدة دينية ما أو فرضها عليهم.

تقوم فلسفة التربية الدينية - الأخلاقية على اعتبار المعتقدات الدينية العنصر الأكثر أهمية في ثقافة المجتمع والأقوى تأثيراً في تفكير الناس وأنماط سلوكهم، وفي عملية التربية التي تصوغ شخصياتهم وتزودهم بالمعرفة والمهارات وتغرس في نفوسهم القيم والاتجاهات المرغوبة. وهناك ثلاثة اتجاهات تمثل فلسفات فرعية الفلسفة الدين والقيم العامة تحكم العمل التربوي الشمولي في الأسر والمدارس والمحيط الثقافي - الاجتماعي) أول هذه الاتجاهات هو اتجاه التربية الدينية الكهنوتية المشيخية أو الحاخامية (Theological Religious) التي يدعو إليها رجال الدين التي تقوم على التفسيرات الغيبية للدين والاحتكام إلى النصوص الواردة في الكتب المقدسة. ويعتقد أصحاب هذا الاتجاه بان هناك مصادر عليا إلهية للفكر والخبرة الإنسانية والقيم الأخلاقية أرقى وأصدق من الأفكار والخبرات والقيم الوضعية للبشر، وأن على التربية - تأسيساً على هذه النظرة - أن تهدف وأن تسعى

-40-

نحو تحقيق الغاية الإلهية في الخلق كما يعترف هذا الاتجاه بدور الإنسان في الطبيعة وبخبراته في الكشف والتحقق بالعلم والتجربة، لكنه يرى أن هناك مصادر أخرى للحقيقة أكثر صدقاً وثباتاً من الخبرة الإنسانية تتمثل في الإرادة والقدرة والحكمة الإلهية أو ما يسمى بالعلم الإلهي. وفي هذا السياق يكون تركيز المربين على تثبيت عناصر العقيدة الدينية وتعزيزها في نفوس الناشئة وتحويلها إلى سلوكيات أخلاقية ذات صبغة عقائدية ملزمة.

والاتجاه الثاني في مجال فلسفة التربية الدينية - الأخلاقية هو الاتجاه الديني الإنساني (Humanistic Religious) الذي يرى طارحوه أن من الضروري للإنسان في كل زمان ومكان اللجوء إلى الله (القوة الغيبية الخفية لإدراك الغاية من الحياة ومن السعي الإنساني لأن العقل البشري لن يستطيع أبداً الوصول إلى إجابات منطقية مقنعة تسكت فضول العقل وشكوكه وتساؤلاته وتصل به إلى حالة اليقين والسكينة والسعادة. ولكن أصحاب هذا الاتجاه يبتعدون عن التفسيرات السطحية الدينية التي تغلب عليها الثقافة الدينية المحدودة لكثير من الناس والتي تراكمت عبر الأزمنة والعصور دونما توفر فرص لتمحيص هذه الثقافة الدينية وتصحيحها. ويفهم هذا الاتجاه الديني الإنساني ويقدر دور الدين في العلاقات الاجتماعية، كما يؤمن بالإنسان وخبراته ودوره في الطبيعة واكتشاف عوالم الكون ولكنه يرى أن هناك قوى ما وراثية خلف الظواهر الكونية.

للنصوص .

أما الاتجاه الثالث في فلسفة القيم والأخلاق فهو ما اصطلح على تسميته بالعلمانية (Secularism)، أي اتجاه التركيز على أخلاق وقيم اجتماعية لا يلعب الدين دوراً فيها ولا يكون المعتقد الديني هو الفيصل في الحكم على مدى صلاح الإنسان أو طلاحه في المجتمع أو الوطن الذي يعيش فيه ويتشارك فيه مع الأفراد الآخرين. وهذا الاتجاه معني بالحاضر المعاش أو الدنيا فقط، ومجالـه عـالم الطبيعة الحسية المادية، وتركيزه الأساسي على التجربة الإنسانية في ميادين العلوم الطبيعية والاجتماعية المختلفة. أي أن العلمانية لا تنشغل بالعالم الأخروي أو الغيبيات وتعتبرها خارج نطاق الخبرة الإنسانية وتمثل مجرد تصورات أو تخمينات. ويرى هذا

الاتجاه أن الأخلاق الحقيقية المقبولة هي ! الاتجاهات والقيم والأنماط السلوكية التي أثبتت عبر التاريخ وبالنسبة لمعظم الناس أنها تؤدي إلى سعادة الإنسان ورفاهيته. وواضح أن دعاة هذا الاتجاه الفلسفي يقيمون وزناً كبيراً ويعطون أهمية فائقة للإنسان الفرد ،وقدرته كما يثقون إلى أبعد الحدود بتجربته وخبراته الشخصية وإمكانيات العقل البشري. وينتقد هذا الاتجاه كثيراً وخاصة من قبل دعاة الفكر الديني الكهنوتي لأنه لا يعترف أن هناك حدوداً للعقل والقدرات البشرية، وأن الطبيعة البشرية تتسم بالنقص وقلة العلم

وفي مجال الفكر التربوي الذي يدعو إلى تربية اخلاقية، لا يمكن لمن يقوم بالتنظير والتخطيط لمثل هذه التربية إلا أن يستلهم الفلسفات الفكرية المرتبطة بالمعتقدات الدينية وعليه أن يواجه منذ البداية ضرورة تبني فلسفة واضحة للأخلاق محددة ومبينة ومفصلة وجلية الارتباط بالجوانب المختلفة. من المعتقد الديني كالإيمانيات (العقائد) والعبادات والمعاملات فإذا كان القانون الأخلاقي العام - كما يرى رجال الدين - مفروضاً من الله تعالى وليس من وضع البشر حسب الظروف الاجتماعية - كما يرى دعاة العلمانية - فإن التربية الأخلاقية سوف تأخذ منحى التطبيع الديني وعدم الانفصال عن العقيدة الدينية. أما إذا رأى منظرو ومخططو التربية الأخلاقية العكس من ذلك، فإن التربية الأخلاقية يمكن أن تتم

-(8)

حسب نظم ومعايير قيمية أخلاقية وضعية اجتماعية غير مرتبطة بالعقائد الدينية ومن الواضح أن كلاً من هذين الاتجاهين في مجال التربية الأخلاقية او تربية الخلق سوف يكون له أثر عميق في شخصيات الأفراد ودوافعهم وقيمهم واتجاهاتهم، وسوف ينعكس على أنماط سلوكهم وعلاقاتهم الاجتماعية، ويحدد في النهاية نظرتهم إلى الحياة وفهمهم للطبيعة والكون وعناصر الوجود كله. ففي التربية الأخلاقية حسب الفكر الديني الكهنوتي أي) المطروح من قبل رجال الدين) تعتبر الضغوط والمحاولات الاجتماعية لتوجيه الأفراد أخلاقياً غير كافية ما لم تقترن بالبعد الديني (غرس القيم الدينية) الذي يجعل الأفراد يرون في الأخلاق الدينية نظاماً ملزماً لهم في فكرهم وسلوكهم لأنه صادر عن الإرادة الإلهية كون الخالق سبحانه وتعالى

-42-

هو المشرع والمقرر النهائي لفكر البشر وسلوكهم ومن ناحية أخرى، تعتبر التوجيهات والضغوط والاعتبارات الاجتماعية الوضعية (أي النابعة من مصالح الأفراد والجماعات وظروفهم كافية لتبرير الفكر والسلوك البشري عند دعاة الفكر العلماني أو المدافعين عن نظام قيمي أخلاقي اجتماعي غير مرتبط بالمعتقدات

الدينية.

الفكر التربوي والنظام الاجتماعي:

يشتمل النظام الاجتماعي في أية بيئة إنسانية على مجموعة كبيرة من العناصر المتفاعلة التي ينتج عنها مؤسسات وعلاقات وتسود فيها مفاهيم وقيم وتقاليد واتجاهات. وينقسم كل نظام اجتماعي إلى عدد من النظم الفرعية كالنظام السياسي والنظام الديني والنظام الاقتصادي والنظام التربوي... وغيرها. وينشأ عن تفاعل هذه القوى والنظم ما يسمى بالثقافات الفرعية التي تقود العناصر المشتركة بينها في النهاية إلى ثقافة عامة سائدة في المجتمع، كما تنشأ بين هذه الثقافات الفرعية غالباً تناقضات وخلافات تصل إلى حد الصراع أحياناً - تؤدي مع

مرور الزمن إلى حالة من التوازن والتعايش يسميه كثير من الباحثين الوضع القائم (Statas quo) . ويعمل معظم أفراد المجتمع غالباً على التكيف لهذا الوضع القائم بطرق وأساليب متعددة تضمن لهم حياة مستقرة وقدراً معقولاً من المصالح المادية والمكانة الاجتماعية والتطور التدريجي ضمن إطار النظام الاجتماعي الذي اختاروا العيش فيه بحيث يصبح الوضع القائم بالنسبة لهم المرجعية الاجتماعية والثقافية والفكرية الأولى أو الرئيسية. إلا أن الشخصيات الفردية المتميزة لبعض أفراد المجتمع الأكثر ثقافة وإطلاعاً من غيرهم لا يقبلون الأوضاع القائمة وينشدون التغيير في بنية النظام الاجتماعي تحت شعارات مختلفة مثل التقدم والتحديث وتحسين شروط الحياة، أو تغيير الظروف القائمة من خلال تغيير المفاهيم وأنماط السلوك السائدة. إن التربية (رجال الفكر التربوي والجامعات والمدارس بمعلميها وطلبتها) غالباً

ما تكون في مركز الصراع الاجتماعي والعامل المحرك وراء دعوات التغيير والتحسين

من أجل التطور والتقدم، أو من أجل تلبية النظام الاجتماعي القائم بطريقة أفضل الحاجات الأفراد والشرائح الاجتماعية وطموحاتهم وتطلعاتهم.

وكان قبول معظم أفراد المجتمع للوضع القائم طبيعياً ومنطقياً في معظم

المجتمعات الإنسانية إخلاصاً منها لتراث الماضي، وبسبب قوة الثقافة الاجتماعية الغالبة التي تفرز مع مرور الزمن معايير قيمية - تصل أحياناً إلى حد القداسة - تحكم فكر الناس وسلوكهم. غير أن الطفرات التي أحدثت التغيير في تلك المجتمعات يمكن ردّها في معظم الحالات لعوامل سياسية أو اقتصادية، وليس إلى عوامل ثقافية أو تربوية مما جعل كثيراً من المفكرين يحتارون في أمر التربية والتعليم ودورهما في إحداث التغير الاجتماعي. وقد نظر إلى النظام التربوي على أنه أحد العوامل الأساسية في المحافظة على الأوضاع القائمة في المجتمعات. ولكن يؤمل من التربية في نفس الوقت أن تكون أحد عوامل تغيير الوضع القائم وتحسين شروط الحياة الإنسانية الفردية والجماعية. بل إن كثيراً من الفلاسفة والمربين ونخبة الفكر والثقافة في مختلف المجتمعات يطمحون إلى أن يكون النظام التربوي قائدا لحركة التغيير والتقدم والتطوير والتحديث في المجتمع، وأن يسحب معه صعوداً في هذه العمليات كافة النظم الاجتماعية الفرعية الأخرى.

ولعل من أقدم الاتجاهات الفكرية في عالم التربية التي سادت عبر التاريخ في معظم المجتمعات واستمرت في تأثيراتها إلى يومنا هذا - ربما بقوة أكبر في المجتمعات الشرقية عنها في المجتمعات الغربية - اتجاه أن النظام التربوي يجب أن يحافظ على الوضع الاجتماعي القائم والثقافة المحيطة به والمنطلق وراء هذا الاتجاه هو أن تراث أي مجتمع عزيز عليه لأنه تشكل وتطور وتراكم نتيجة أفكار وجهود كثير من أفراد المجتمع ونتيجة

معاناتهم تضحياتهم جيلاً بعد جيل، وإنها لخسارة كبرى أن تضيع تلك الجهود بما تحمله من حكمة وتبصر وحلول للمشكلات التي واجهت المجتمع خلال تطوره عبر العصور. كما أنه أمر يدعو إلى الأسف إلا يتمكن كل جيل صاعد من الاستفادة من تجارب الأجيال السابقة وأخذ العبرة منها عندما يتعرضون إلى الخبرات الجديدة. هذا الاتجاه القديم القوي تعبير عن الدور المحافظ أو التقليدي

كما يسمى

أحياناً) للتربية تجاه النظام الاجتماعي القائم. وربما وصل الأمر بالبعض إلى اتهام النظام التربوي بالرجعية والإنشداد الدائم إلى تراث الماضي بدلاً من التطلع إلى المستقبل أو معالجة الأوضاع والمشكلات والقضايا القائمة في حاضر المجتمع وحياة أفراده في زمن وجودهم فيه. ومن أجل أن تقوم التربية بهذا الدور المحافظ على التراث وصيانته وضمان استفادة الأجيال الصاعدة من الحكم والقيم والخبرات التي يحويها هذا التراث نجدها تخضع لعمليات توجيه من السلطة المعنوية للثقافة السائدة ممثلة بسلطات المجتمع السياسية والدينية والفكرية نحو تعزيز التراث أهدافاً وسياسات تعليمية ومناهج وأساليب مع السماح للنظام التربوي بهامش - يتسع أو يضيق حسب كل ثقافة اجتماعية - من التغيير والتطوير والتحديث بما لا يمس جوهر هذه الثقافة أو ثوابتها كما يقال.

أما الاتجاه الفكري الآخر في مسألة العلاقة بين التربية والنظام الاجتماعي القائم، فهو الذي يدعو إلى أن من واجب التربية أن تقوم بمبادرات لتحمل المسؤولية وإحداث التغيير في مفاهيم الناس وأنماط سلوكهم إما من خلال أبنائهم وبناتهم في المدارس والمعاهد أو من خلال توسيع دوائر الوعي ونشر ثقافات التغيير والتطوير بين الكبار وفي هذا السياق يعتبر أن التربية تقوم بدور تقدمي او تطويري). وتعمل خلال أهدافها وسياساتها ومناهجها وأساليبها على تمحيص التراث الثقافي من والموروث الاجتماعي ونقده وتنقيته من الأفكار والممارسات السلبية المعيقة للتقدم. وتنشد التربية في إطار هذه الوظيفة التقدمية أو التطويرية الوصول إلى نظام اجتماعي جديد يعتقد بأنه سيكون أفضل من الوضع القائم.

ولذلك يركز دعاة هذا الاتجاه على البرامج التعليمية والتدريبية الكفيلة بضمان مخرجات تعليمية فعالة ذات مستويات جودة وكفاءة عالية فكراً وثقافة وإنتاجاً وسلوكاً وقدرات إبداعية - ابتكارية قادرة على حل مشكلات الحاضر وضمان شروط حياة أفضل لأفراد المجتمع في المستقبل. وبمعنى آخر، يرى دعاة هذا الاتجاه الفكري أن على التربية بدل أن تكون مجرد مؤسسات تتكرس فيها ومن خلالها الأوضاع الاجتماعية والأنماط الثقافية الموروثة، عليها أن تفرز أفكاراً جديدة

كفيلة بأحداث تغيير ذي أثار تنموية حقيقية في حياة الأفراد مما يسمح بإعادة البناء المستمر للنظام الاجتماعي وتجديده. وعند النظر إلى العلاقة بين التربية والنظام الاجتماعي، نجد أن رغبة البعض في ان يقوم النظام التربوي بدور المبادأة والمبادرة وطرح الأفكار الجديدة لإحداث التغيير، غالباً ما تعترضه بعض العقبات الناجمة عن طرح أسئلة حساسة مثل: هل تفود التربية المجتمع، أم هي نظام فرعي تابع لنظم أقوى مثل النظام السياسي والنظام الديني والنظام الاجتماعي؟

المجتمعات

أو هل يملك النظام التربوي القدرة أو الجرأة على تغيير الموروث الثقافي التاريخي (9)؟ وكيف يمكن أن يحدث ذلك دون هزات اجتماعية أو صراعات طبقية؟ وهل هناك ضمانات بأن النماذج الجديدة للإصلاح والتغيير سوف تأتي بنتائج أفضل مما هو قائم بالفعل؟ وكيف يمكن المواءمة بين أصالة التراث وحتميات التغير؟ وعلى الرغم من الاتفاق بين الفلاسفة والمفكرين في كافة المجتمعات على دور التربية في تحسين شروط الحياة الإنسانية من خلال مخرجات النظم التعليمية بأفكارهم وخبراتهم وطموحاتهم، إلا أن ندرة منهم لديهم تصورات عن | التي تنشد التربية الوصول إليها، أو مواصفات واضحة متفق عليها للمجتمع المطور أو المحسن او الجيد الصالح أو ما يعتقد أنه أفضل من الحالي أو الذي سبقه، فإذا ما أردنا للعربية أو للنظم التعليمية أن تنتج لنا نظاماً اجتماعياً جديداً مختلفاً، أي مجتمعاً أفضل واكثر تلبية لحاجات الأفراد مع مواكبة التطور والتقدم، فإن المسؤولين عن السياسات الاجتماعية وراسمي السياسات التعليمية ينبغي أن يكون لديهم فكرة عما يطلبون أو يأملون من التربية تحقيقه، وأن ينقلوا هذه الفكرة بوضوح تام إلى الجهاز التربوي بكافة عناصره، بالإضافة إلى كل من يعينهم الأمر في المجتمع. وبالطبع، لا أحد يمكنه الخوض في موضوع متشابك العناصر كموضوع دور التربية في تحسين النظام الاجتماعي أو تطويره نحو نموذج أفضل، دون أن تتوافر لديه حقائق واضحة عن الوضع الاجتماعي القائم من جهة، وعن الإمكانات البشرية والمادية الفكرية التنظيرية والعلمية التطبيقية المتوفرة للنظم التعليمية من جهة ثانية، وعن التيارات والقوى العالمية المؤثرة في مسيرة المجتمع وحياة أفراده من جهة ثالثة.

-46

كما ينبغي

أن يدرك أصحاب الطموح الكبير في قدرة التربية على تغيير النظام الاجتماعي أن التربية لا تملك عصا سحرية - كما يقال - قادرة بلمسة واحدة أو حتى بعدة لمسات على إدراك الأماني وتحقيق الطموحات)

(10)

إن عالم اليوم هو عالم متغير بسرعة، كثير الاحتمالات ومتسارع الأحداث والتطورات، وليس عالماً ثابتاً في جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وبالتالي فإن الفكر التربوي يواجه في المجتمعات المعاصرة ظروفاً وتحديات لم تكن قائمة في مجتمعات الأمس، على الرغم من ضرورة تمسكه بالمبادئ الأخلاقية العليا التي يجب أن تميز بين المجتمعات الإنسانية على سلم الحضارة والثقافة ذات القيم والمثل المرتبطة بالخير والحق والعدالة كما ورد في الديانات السماوية ونظرية الخير الأسمى للمثالية الأفلاطونية، والقانون الأخلاقي العام الذي كان أرسطو يرى أنه يجب أن يحكم المجتمع الإنساني.

إن المعايير التي يمكن أن تلجأ إليها التربية سواء في نقدها للنظام الاجتماعي القائم أو في استشرافها لنظام اجتماعي جديد أفضل، يجب أن تكون نابعة من نظرات ودراسات فلسفية وتاريخية تخضع للتحليل النقدي العلمي الموضوعي، وليس للانطباعات الشخصية العاطفية للحالمين أو دعاة اليوتوبيا (المجتمع المثالي).

إن عملية التغيير والتطوير من خلال التربية ومخرجات النظم التعليمية مسألة تحتاج إلى الكثير من التأني والتفكير والتدبير مما يضفي على الفكر التربوي مسؤولية خطيرة في ريادته وقيادته لأخطر مشروع اجتماعي على الإطلاق ألا وهو تربية